

أتم .. يا صرب العرب

بقلم سهى عبد الحميد قضماني

الله أكبر .. الله أكبر .. على النظام العاهر
من ذاكرة دمشق المحكومة .. ذاك الاعتداء على محارمها بأمر الأمر
أنزلت السلطة نساءها إلى الشوارع قبل الغروب الباكر
أخذن يستعرضن بترجلهن كيف درهن البعث الشاطر
كيف أعدهن كسرايا دفاع .. دفاع عن .. عن تبرج وانحلال لكل الفضائل ناكر
بجراًة وقبح أخذن يعرين رؤوس الحرائر
وإن دافع الزوج أو الأب أو الأخ المرافق .. زجروه واعتروه بالتححرر كافر
بكت سيدات فاضلات .. جرحت فتيات يانعات .. ارتعدت جدات صالحات
أتدري أيها الدمشقي المسالم
كم وكم وأخطأنا عندما مررنا على جريمته مرور الجبان الأبكم
وبررنا لأنفسنا أننا نكظم الغيظ لأننا أكابر
كيف صمتنا .. كيف رضينا .. كيف اعتبرناها من الصغائر
أيها النظام العاهر .. تجاوزت اليوم الحد وأعلنت علينا الكبائر
إلى متى الخوف والصمت وأنت تتجراً على الحرائر
أتعرفني لن أعرب اليوم مع الشمس .. أنا الشعب الثائر
ظلمك السفاح لن أترك له دابر
في البوسنة تحدى الصربي نخوتنا .. أعلن لكل العالم أنه يعتدي على بناتنا
وعندما كنا كما دائماً نحن كان لبطن الحامل باقر
الشر لا يعرف لون ولا عرق
لكن الظلم كله يعرف مواقعنا حيث كنا .. كيف لا ونحن كالمال الداشر
نحن الرعية نباع .. نشترى وفي أمان قانتاتنا الطغاة تناجر
يسلب من الزوجة زوجها وتعتقل سنابلها ، أعلنتم الحرب على كل ما في الأنثى من مشاعر
يا ويلك .. يا ويلك .. يا ويلك .. أيها النظام العاهر
تبحث الحرة عن رجالها .. عن حماها .. عن حامي عرضها .. صمت وغياب باهر
إذا سكن الرجال المخادع .. تهرب النساء إلى الشوارع

تخرج الحرة لتصرخ في الفضاء المقيد بالأغلال .. بالسلاسل
بالأسر المفتول على أعناق العرب كالجدايل
بمرأى من ضوء الشمس
يلتف حولها أذنان الرجال .. يعتقلونها .. تدافع عن حرمتها .. فيضربونها
أيا نخوة الرجال ميت .. كأن إهانة القوارير صورة ألفتها البصائر
أيا أرحام النساء .. أيا أمهات الشرق غزارة الإنجاب أنتِ
كيف .. كيف غدت من تنجب المعتصم وحدها عاقر
أيا عدالة الحق .. أطلقني الحكم
اقطعي يد تمتد على أنثى لا ذنب لها سوى وجودها بين هذه العشائر
على كل أطياها يُعتدى
من أسدلت على وجهها النقاب ومن ارتدت الحجاب ومن خرجت بشكل سافر
أيها النظام العاهر تجاوزت الحد وأعلنت علينا الكبائر تلو الكبائر
لا أمانة .. لا حقوق .. لا عدالة
فقط في تجاوز الحدود .. في مسخ القيم .. في تجريم المثل والمبادئ أنت الماهر
من غير أن تستأذن على الشكالى تقتحم المنازل
تفتح الباب مرتاعة .. من أنت سيدي ؟ .. عذراً لا رجال في البيت ..
عمن تسأل ؟ .. ماذا تريد ؟ .. تسألك بذعرها الحائر
وأنت تُرعد .. تُفتَحِم .. عمَّ تبحث سيدي ؟ ليس عندي قلائد ولا جواهر
حَسْبَتِكَ المسكينة لصاً .. فتبرأ السارق من ذنبه
إن كان اللص أنتَ .. سيعلن اللص توبته من أعلى المنابر
مثلكم .. لا يغض البصر
مثلكم .. لا يعلم أن هناك يوماً ستحاسب فيه السرائر
اعترفي .. أين خبأت سلاح العساكر
أنا سيدي .. والله لا مكان في بيتي إلا لكسرة خبز وأحزان الأرامل
قلبت الفراش .. مزقت الوسادة
والابن المدعور تحنطت في مخاوفه الملاحم
بكى الفتى على كراسته تحت قدميك وفيها بسملة الماضي والمستقبل والحاضر
صغر إنسانه عاجز أن يدفع عن أمه جبروتكم السافر
ضحج أنين الخائفة الثكلى .. تنفست الصعداء

في بيتها المفلس عبثاً كنت تحاول لم تجد في بيتها سلاح العساكر
كنتم كما دائماً أنتم مجموعة من العناصر
كنتم كما دائماً أنتم .. وما كنتم قط أسوداً على العدو الغادر
على الشبيخة والمرأة والطفلة وحوش النظام القاهر
بعد أن انتهيت من قلب موازين البيت الذي لم تُقتل فيه حتى الأرضة
بيت كآلاف بيوت السوريين
فقر ومرض وقهر ..

بيوت تخرج آلاف المدربين على أهبة الاستعداد لسكنى المقابر
نظرت عيونكم المفترسة لوجهها الحائر بدل أن تعتذروا من ترويعها
قررت تدميرها .. رفعتم حجابها .. مزقتم ثيابها .. عريتكم العفاف الطاهر
ورميتكم فوق جرح كرامتها اعتداء الظلام وحشاً تلو الآخر
أيا سيدتي الطاهرة

سمعت منك الأنين قد مرّ في صبر الحنين لميلاد المعتصم النادر
كانت تُجهز الجيوش .. ليلبي النداء
وتستنفر النخوات .. إذا كشفت ساق أو سمع صوت البكاء
متى نتحرر من خوفنا .. من جبننا .. من حلمنا
متى .. متى .. نتمرد على ترهيبنا الجائر

إذا رضي الرجال أن يلعب بمحارمهم سادة القمار الخاسر
فحياتهم حرام على الشافعية والحنابل
بل حياتهم حرام على كل المذاهب

وأنتم يا صرب العرب : أتعتدون على بنات أمتنا بالبحان
تعرون في مخادعنا الحرائر .. تجاوزتم الحد فينا .. كشفتم كل الستائر
سُتدّون مواقفكم ففي صفحات التاريخ السوداء ليس لكم نظائر
أيا ترويع كل فاضلة

أيا بكاء كل طفلة معتقلة .. لقد انعدمت في وحشيتهم الضمائر
أنا القادم إليكم لأخمد أنفاسكم

ذاك الظلم والاستعباد .. زمن المذابح والمعتقلات
تلك الفرعنة المستعلية .. ذاك كان الزمن الغابر

واليوم يوم ميلادي .. أنا القادم إليك .. أنا الشعب الثائر

أزف إليك البشائر تلو البشائر
عليك وحدك ستدور الدوائر
أيها النظام العاهر تجاوزت فينا الحد وأعلنت علينا الكبائر .. تلو الكبائر